ظاهرةُ فَعَلَ وأَفْعَلَ باتِّفاقِ المعنى واختِلافِهِ

في كتابِ تحفةِ المجدِ الصريحِ شرحِ كتابِ الفصيحِ للبلي(ت٦٩١هـ)

The Phenomenon of Faʿala and Afʿala: Semantic Convergence and Divergence in al-Lubli's Tuḥfat al-Majd al-Ṣarīḥ(d. 691 AH) — A Morpho-Semantic Comparative Study

مروان محمد طه عثمان

Marwan Mohammed Taha Othman

جامعة سامراء / كلية التربية / قسم اللغة العربية

University of University of Samarra / College of Education / Department of Arabic Language

أ.م.د. ثمينة أحمد هيلان

Assistant Professor Dr. Thamina Ahmed Hailan

جامعة سامراء / كلية التربية / قسم اللغة العربية

University of University of Samarra / College of Education / Department of Arabic Language

الكلمات المفتاحية: فَعَلَ وأَفعَلَ، الفروق الدلالية، اتفاق المعنى، أقســط، المعنى واحد، الترادف الصرفي، اللهجات العربية.

Keywords: faʿala / afʿala, semantic differences, al-Lubli, Tuḥfat al-Majd al-Ṣarīḥ, al-Faṣīḥ of Thaʿlab, morphological synonymy, Arabic dialects.

الملخص

الإشـكالية :تنطلق هذه الدراسـة من إشـكالية قديمة متجددة في الدرس الصـرفي الدلالي العربي، مفادها: هل تُحدِث زيادةُ الهمزة في بنية الفعل الثلاثي المجرد(فَعَلَ) فتنتجَ(أَفعَلَ) تحولاً دلالياً حقيقياً في كل الأحوال، أو أنّ ثمّة حالات يتساوى فيها معنى الصـيغتين دون أن تُؤدّي الزيادة في المبنى وظيفةً تمييزية؟ وهل كان اللَّبْلِيّ ناقلًا لآراء مَن سبقه أم صاحب توجيه صرفي مستقل؟ الهدف والمنهج: يسـعى هذا البحث إلى اسـتقراء هذه الظاهرة في كتاب(تحفة المجد الصـريح في شـرح كتاب الفصـيح) لأبي جعفر أحمد بن يوسـف اللَّبْلِيّ(ت٦٩١هـ)، ودراسـتها لا سـيما أنه مدوَّنةً لم تنَل حظها من الدراسـة التحليلية المستقلة في هذا الباب الصـرفي. ويعتمد البحث المنهجَ الوصـفي التحليلي الاسـتقرائي، مسـتعملًا المقارنةَ أداةً عملية عند الموازنة بين منهج اللَّبْلِيّ ومنهج غيره من شُرّاح الفصـيح كالهروي والزمخشري. النتائج : خلصـت الدراسـة إلى أنّ اللَّبْلِيّ اتّبع مسلكاً توثيقياً إثرائياً يقوم على جمع الروايات وإشـباعها بالشـواهد الشـعرية والحديثية، دون أن يتخذ موقفاً مذهبياً صـريحاً في مسـألة تسـاوي المعنى أو اختلافه. ومن خلال الشـرح تبيّن أنّ الاتفاق الدلالي بين الصيغتين وقع على نوعين: اتفاق تامّ كـــ(حكَّ وأحكَّ)، واتفاق جزئي كـــ(قسَطَ وأقسَطَ) .كما وقع الاختلاف الدلالي على درجتين: اختلاف في المعنى الأصـلي كـــ(لمَّ وألَمَّ)، واختلاف في درجة اليقين المعرفي كـ(رابَ وأرابَ)، وهو من أدق الفروق الدلالية في الموروث اللغوي .وظهر أن اللَّبْلِيّ أكثر من غيره استعمالًا لأمثلة هذه الظاهرة مقارنةً بسائر شُرّاح الفصيح.

Abstract

Problem: This study addresses a long-standing question in Arabic morpho-semantics: does the addition of the hamza prefix to the bare triliteral verb(faʿala), yielding(afʿala), invariably produce a semantic shift, or do the two forms sometimes converge in meaning without the structural increment performing a differential function? Objective and Method: The study systematically examines this phenomenon in al-Lubli's Tuḥfat al-Majd al-Ṣarīḥ fī Sharḥ Kitāb al-Faṣīḥ(d. 691 AH), a textual corpus that has not previously been subjected to independent analytical study in this morphological domain. The research employs an inductive-descriptive-analytical approach, using comparison as a procedural tool when contrasting al-Lubli's method with that of other commentators on al-Faṣīḥ. Results: Al-Lubli adopted a documentarian-enrichment approach that gathers variant transmissions and supports them with poetic, prophetic, and prose evidence, without taking an explicit doctrinal stance on semantic equivalence or divergence. Semantic convergence was found to occur in two types: total(e.g., ḥakka/aḥakka) and partial(e.g., qaṣaṭa/aqsaṭa). Semantic divergence likewise occurred at two levels: divergence in primary meaning(e.g., lamma/alamma) and divergence in epistemic

certainty(e.g., rāba/arāba), the latter being among the subtlest semantic distinctions in the Arabic linguistic heritage.

أولاً :المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشـرف المرسـلين وعلى آله وصـحبه أجمعين، أمّا بعدُ:

فظاهرةُ (فَعَلَ وأَفعَلَ) تنتمي إلى مسـائل مباحث الصـرف الدلالي التي يجتمع فيها مسـتوى بنية الكلمة مع معناها، وهي من المسـائل التي وقف عندها علماءُ العربية الأوائل وألّفوا لها التصـانيف الخاصة، فقد ألّف أبو منصور الجواليقي(ت540هـ)كتابه(ما جاء على فَعَلتُ وأَفعَلتُ بمعنى واحد)، ووقف عندها ابن درستويه منها موقفَ الرافض وألَّف في بيان افتراق معنيهما.

وقد ظلت هذه المسـألة تشـغل حيّزاً في الجدل اللغوي القديم بين مؤيّد لها ومعارض، وهو جدلٌ راجع الى السؤال المعرفي الجوهري: أيتستلزم الزيادة المورفيمية على بنية الكلمة تغييراً دلالياً مقابِلاً لها في كل الحالات، أم أن اللغة تمتاز بالمرونة فلا تتقيّد بهذا الافتراض؟

وقد آثرت هذه الدراسة أن تتخذ من كتاب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح لأبي جعفر أحمد بن يوسف اللَّبْلِيّ(ت691هـ) مدوَّنةً نصيةً ثريّة؛ لأسباب ثلاثة: أوّلها: أن الكتاب يُعدّ من أوسع شروح الفصيح وأغناها بالشواهد والمادة اللغوية .وثانيها: أن اللَّبْلِيّ أندلسي المنشأ مشرقي الدراسة، وهذا التنوع في مصادر ثقافته اللغوية يؤدّي إلى تعدد في الشواهد واللهجات التي يستعملها في شرحه. وثالثها: أنّ ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ) في التحفة - لم تحظَ بدراسة تحليلية مستقلة، وإن أشار إليها باختصار بعضُ الباحثين الذين تناولوا الشروح الثلاثة مجتمعةً.

1-إشكالية البحث

تقوم إشـكالية هذا البحث على محور رئيس :هل تعامل اللَّبْلِيّ مع ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ) وفق منهج مغاير لمنهج سـائر شُـرّاح الفصـيح، فهل يخرج برؤية خاصّـة في مسـألة تسـاوي الصـيغتين أو اختلافهما؟ أم أنّه سار على النهج الموروث مكتفياً بالتوثيق والرواية؟ وما الذي تُضيفه دراسةُ هذه الظاهرة في هذا الشرح إلى فهمنا لمكانة زيادة الهمزة في صيغة الفعل العربي؟

2- أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث من أمرين:

الأول - على صعيد الدرس التراثي: ظلّ شرح اللَّبْلِيّ على الرغم من ثرائه اللغوي إلّا إنّه في غنىً عن الدراسة الصرفية المتخصصة؛ إذ اتجه معظم الباحثين إلى شروح الهروي والزمخشري، وابن هشام، وأهملوا اللَّبْلِيّ أو أشاروا إليه عَرَضاً .ومن هنا تجيء هذه الدراسة لتملأ جزءاً من هذا الفراغ، ولا سيّما في باب صرفي دقيق كظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ).

الثاني - على صـعيد اللسـانيات المعاصـرة :تُعدّ العلاقة بين الزيادة المورفيمية والتحوّل الدلالي من الأسـئلة المفتوحة في الصـرف التوليدي والصـرف الدلالي العربي الحديث؛ فنتائج هذا البحث قد تُضيف شاهداً تراثياً يُثري هذا النقاش في الدراسات الاشتقاقية والصرف-دلالية.

3.أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف:

الأول :اسـتقراء وتجريد الأمثلة التي جاءت في التحفة لصـيغتَي(فَعَلَ وأَفعَلَ) وتصـنيفها في ضـوء العلاقة الدلالية بينهما.

الثاني :تحليل منهج اللَّبْلِيّ في تناول هذه الأمثلة ورصد المواقف التي أبدى فيها رأياً أو نقداً.

الثالث :المقارنة بين ما ذهب إليه اللَّبْلِيّ وما ذهب إليه أقرانه من شُـرّاح الفصـيح، للكشـف عن خصوصية منهجه.

الرابع :الوصـول إلى اسـتنتاجات علمية تُقيّم إسـهام اللَّبْلِيّ في الدرس الصـرفي التراثي في هذه الظاهرة.

4.حدود البحث ومنهجه

يقتصر البحث في موضوعه على ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ) بقسميها الاتفاق والاختلاف في الدلالة، وفي مصـدره على كتاب تحفة المجد الصـريح لاسـتيفاء الأمثلة منه، وذلك مع المقارنة بما ورد في المصـادر اللغوية التراثية وأقوال شُـرّاح الفصـيح الآخرين .ويتّبع البحث المنهج الوصـفي التحليلي الاستقرائي، بتتبع الأمثلة ووصف ما قاله اللَّبْلِيّ بشأنها وتحليله وتصنيفه، مُستعيناً بالمنهج المقارن عند الموازنة بين الشُّرّاح.

ثانياً :ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ) في الدرس اللغوي القديم:

قبل الخوض في اسـتقراء مادة التحفة، هناك ضـرورة لبيان الخلفية التي وقف فيها اللَّبْلِيّ على هذه المسألة؛ إذ لا يمكن فهم موقفه بمعزل عن الجدل الذي سبقه.

المؤيدون لاتفاق المعنى:

ذهب جماعة من أئمة اللغة إلى أن صـيغتَي(فَعَلَ وأَفعَلَ) قد تتطابقان في المعنى دون أن تُحدِث الهمزة فـارقـاً دلاليـاً، ومن أبرز هؤلاء :أبو عبيـدة معمر بن المثنى(ت209هـ)، وأبو زيـد الأنصـاري(ت215هـ)، وأبو العباس ثعلب(ت291هـ)الذي أفرد لها باباً خاصـاً في فصـيحه بعنوان(باب فَعَلتُ وأَفعَلتُ بمعنى واحد)، وابن دريد(ت321هـ)في جمهرة اللغة.**(ابن دريد، ١٩٨٧، ١٢٥٧/٣، ثعلب، ١٩٧٥، ٢٨٣،٢٨١)**

المعارضون لاتفاق المعنى

في المقابل، أنكر فريق من اللغويين وقوعَ هذا التساوي، أو على الأقل شدّدوا على ندرته ووجوب التريّث في قبوله؛ فالأصمعي(ت216هـ)كان شديد الحرص على التفريق بين الصيغتين في كل مسألة يُعرَض عليه فيها(**السيوطي ١٩٩٨، ١/٣٩٤، ابن الانباري ١٩٨٧، ص ٥٨**)، وابن خالويه(ت370هـ)الذي شدّد على أنَّ(لكلِّ واحدٍ من فعل وأفعل معنى يخصّه)إلّا أن يأتي في معنيين مختلفين(**ابن خالويه د، ت، ص ١٤١**، أمّا ابن درستويه فقد أفرد مؤلَّفاً مستقلاً لبيان افتراق معنى(فَعَل وأَفعَل)، رادّاً على كل من يُجيز اتحادهما، فهو يقرُّ بأنَّ اللغة موضوعةً للإبانة عن المعاني فلو صحَّ أنْ يوضع لفظٌ واحدٌ للدلالة على معنيين مختلفين لما كان ذلك إبانة بل تغطية وتعمية(**ابن درستويه ١٩٩٨، ص ٧٠**)

صاحب التحفة :اللَّبْلِيّ

هو أبو جعفر أحمد بن يوسف اللَّبْلِيّ، نسبةً إلى لَبْلَة من مدن الأندلس، كان من علماء اللغة المتقنين الذين جمعوا بين التلقّي الأندلسي والتعمّق في المصادر المشرقية . وشرحه للفصيح من أوسع الشروح وأكثرها جمعًا للمادة اللغوية(**السيوطي، بغية الوعاة، لا يوجد سنة طبع، ١/٤٠٣، برقم ٧٩٨**) ؛ فهو يُكثر من الشواهد الشعرية والنصوص الحديثية، وقبل ذلك الآيات القرآنية ويُناقش أقوال اللغويين مناقشةً نقدية، ولديه ردود كثيرة وردت في شرحه سواء على ثعلب أو غيره من أهل اللغة، وكان يُؤثر في الغالب الرواية على الرأي، والرأي الموثّق على مجرّد الترجيح.

ثالثاً :مباحث الدراسة

المبحث الأول :(فَعَلَ وأَفعَلَ) باتفاق المعنى:

تضمّن شرح اللَّبْلِيّ كلماتٍ جاءت على صيغتَي(فَعَلَ وأَفعَلَ) ومعناهما واحد في السياق الذي وردتا فيه .والاتفاق الدلالي بين الصيغتين ينقسم عند التأمل إلى نوعين :اتفاق تامّ يتطابق فيه المعنيان من جميع الوجوه، واتفاق جزئي يشترك فيه أحد معاني(فَعَلَ) مع المعنى الوحيد لـ(أَفعَلَ) .وفيما يلي أبرز الأمثلة الدالة على ذلك:

أ -قَسَطَ / أَقسَطَ(مثال على الاتفاق الجزئي:

نقل اللَّبْلِيّ في شرحه للفصيح أن ثعلباً قال))**:**وقد أَقسَطَ الرجل :إذا عدَل فهو مُقسِط))، ثم أردف اللَّبْلِيّ موضّحاً))**:**ويقال أيضاً :قَسَطَ إذا عَدَل، بغير ألف، حكاه يعقوب في كتاب الأضداد قال : قَسَطَ :جار، وقَسَطَ :عَدَل، وأَقسَطَ بألف :عَدَل لا غير)**. اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ١/٤٤٣، ٤٤٤)**

(تحفة المجد الصريح44-1/443)

ويتضح من هذا النص أن الفعل(قَسَطَ) ضدٌّ في نفسه؛ إذ يحمل معنيين متضادين :العدل والجور، بينما (أَقسَـــطَ) بالهمزة لا يحمل إلا معنى العدل وحده، وقد أقرّ بذلك أهل اللغة على اختلاف مشـاربهم .وقد جاء في جمهرة اللغة وفي الفروق اللغوية للعسـكري واللسـان، ما يُؤيّد التفريق بين الفعلين من جهة، ويُثبت الاتفاق من جهة أخرى في حدود معنى العدل تحديداً.((**ابن دريد، ١٩٨٧، ١٢٦٥/٣، العسـكري ١٧٧، ابن منظور، ١٩٩٤، ٣/ ٤٢٣ مادة "نشـد"**)أما المصـادر التي دقّقت أكثر كالأضداد لابن الأنباري والمخصص فقد أثبتت أن(أَقسَطَ) لا تأتي إلا بمعنى العدل(**ابن الانباري، ١٩٨٧، ٥٨، ابن سيدة، ١٩٩٦، ١٧٨/٤، ابن القطاع، ١٩٨٣ ٢٥/٣**)

وهذا النوع من الاتفاق يُصـنَّف اتفاقاً جزئياً؛ لأن(قَسَـطَ) تشـترك مع(أَقسَـطَ) في أحد معنييها وهو العدل، لكنها تنفرد عنها بمعنى الجور .فزيادة الهمزة هنا أدّت وظيفةً تخصيصيةً مستقلة؛ إذ ضيّقت الدلالة وجعلتها في معنى واحد.

ب - حَكَّ الأمر في صدري / أَحَكَّ(مثال على الاتفاق التامّ):

من الأمثلة التي أوردها اللَّبْلِيّ لهذه الظاهرة مادة(حكّ)؛ إذ قال في شـرحه((أي :ما أثّر ولا عَمِل ولا ثبَت - عن ابن خالويه - وفي الحديث الشريف' :الإثم ما حكَّ في صـدرك))'، مستشـهداً بما أخرجه مسلم في صـحيحه(**مسلم، د،ث ، ١٩٨٠/٤، ح ٢٥٥٣**) .ثم تحدّث اللَّبْلِيّ عن مشـتقات المادة ومتفرعاتها كحاك وحكى واحتكى، ثم ختم قوله ناقلاً عن أبي علي البغدادي))وحكى أبو علي البغدادي في فَعَلتُ وأَفعَلتُ أنه يقال :حكَّ هذا الأمر في صـــدري وأحكَّ، بمعنى واحد)).**اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ٤٣٨/٢ ، ٤٣٩**)

والملاحظ أن اللَّبْلِيّ لم يُعلّق على هذه الشـهادة بالقبول أو الرفض؛ فهو يُثبتها وينقلها دون أن يُبدي موقفاً صـــريحاً، وهذا ديدنه في غالب هذا الباب .وأما طبيعة الاتفاق هنا فهو اتفاق تامّ؛ إذ إن الفعل(حكَّ) بلا همزة وبها يُؤدّي الدلالة ذاتها، وهي إثارة القلق في النفس والتردد في قبول الأمر أو الفعل(**اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ٤٣٩/٢**).

ج - دَنِفَ / أَدنَفَ

في سياق شرح لفظة الدَّنَف - وهو المرض الشـديد الذي يُوصِـل المريضَ إلى حافة الموت - أورد اللَّبْلِيّ قول الجوهري(ت393هـ)في الصـحاح))وقد دَنِفَ المريضُ بالكسـر أي ثُقُل، وأَدنَفَ بالألف مثله، وأَدنَفَهُ المرضُ يتعدى ولا يتعدى(**الجوهري، ١٩٨٧، ١٣٦١/٤**))) .وقد نقل اللَّبْلِيّ هذا القول موافقاً عليه ضـمنياً بإدراجه دون تعقيب .وقد أحسـن اللَّبْلِيّ في إثراء هذا الشـرح بقول العجاج في اصفرار الشمس وقت المغيب وقلة ضوئها، مستعيراً لها هذا الوصف تشبيهاً بالمريض الذي تخبو نضارته:

والشمسُ قد كادَت تكونُ دَنَفَا أَدفَعُها بالرَّاح كي تَزَحلَفَا

(العجاج، ٢،١٩٧١/٦٧٩، وينظر: ابن دريد، ١٩٨٧، ٢/٦٦٩)

فاتفاق(دَنِفَ وأَدنَفَ) هنا اتفاق تامّ في معنى المرض الشـــديد المُضـــعِف، ولا يُفرَّق بينهما في الاستعمال(**النعيمي، ٢٠٠٣، ١٩٠**).

د - أمثلة إضافية من التحفة:

فضـلاً عمّا سبق، وردت في شرح اللَّبْلِيّ ألفاظ أخرى تنتمي إلى هذه الظاهرة، يُمكن تصـنيفها في الجدول الآتي:(**اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ٢/٤، ١٤، ١٦، ٦٠، ٤٤٢**)

فَعَلَ	أَفعَلَ	نوع الاتفاق / الاختلاف	الموضع في التحفة
دَلَع	أَدلَع	اتفاق تامّ	2/4
شَحَا	أَشحى	اتفاق تامّ	2/14
خَدَع	أَخدَع	اتفاق جزئي	2/16
هَلَك	أَهلَك	اتفاق جزئي	2/60
حَكَّ	أَحَكَّ	اتفاق تامّ	2/442

المبحث الثاني

(فَعَلَ وأَفعَلَ) باختلاف المعنى

أفرد ثعلب في فصـيحه باباً خاصـاً لهذه الحالة بعنوان(باب فَعَلتُ وأَفعَلتُ باختلاف المعنى(**ثعلب، ١٩٧٥، ٢٧٣**).، وتناوله اللَّبْلِيّ في شـــرحه واقفاً عند كثير من ألفاظه، مُبيّناً وجوه الاختلاف بالدليل والشـاهد .وهذا النوع لم يختلف في وقوعه أحد من أهل اللغة؛ إذ الاتفاق قائم على أن الهمزة حين تُضـاف إلى فعل ثلاثي تُحوّل معناه في كثير من الأحيان .غير أن مناط البحث في الحالات التي يقع فيها الاختلاف ودرجته، وفيما يلي أبرز ما تناوله اللَّبْلِيّ:

أ- (لَمَّ / أَلَمَّ)اختلاف في المعنى الجذري:

قال اللَّبْلِيّ في شرحه:((وقد لَمَمتُ شَعَثه أي أصلحتُ أمره ...وأَلمَمتُ به إذا أتيتُه وزُرتُه)) .(**اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ٢/٤٧٤-٤٧٦**) وقد بيّن أن اللمَّ في أصـل الاسـتعمال يعني الجمع وإصـلاح المتفرّق، ومنه قولهم :لمَمتُ شـعَثه، أي جمعتُ ما تشـتّت من أمره .واسـتدلَّ اللَّبْلِيّ بما أخرجه الترمذي من الدعاء النبوي الشريف:(اللهم إني أسألك رحمةً من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلمُّ بها شـــعثي(**الترمذي، ١٩٩٨، ٦/٣٩، ح ٣٤١٩**)) .أما(أَلَمَّ) بالهمزة فتعني الزيارة المتقطعة غير الدائمة، والإقلال من الشيء، واستشهد بقول جرير:

وَرِيشِي مِنكُم وهَوَايَ مَعْكُم وإِن كانَت زِيَارَتُكُم لِمَامَا(**ديوان جرير، ٥٤٦،١٩٦٩**)

وتجدر الإشارة إلى أن رواية اللَّبْلِيّ):(فميلي فيكم وهواي معكم)، وهو ما يختلف عن رواية المطبوع) أي قليلاً متقطعاً.(**اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ١/٤٧٦**) ثم تطرّق اللَّبْلِيّ إلى ما ذكره ابن درســتويه من أن استعمال العامة(لَمَمتُ) بغير ألف في معنى الزيارة خطأٌ صـريح.(**ابن درستويه، ١٩٩٨، ٢٥٥**) وقد ردَّ اللَّبْلِيّ هذا الزعم بردٍّ لطيف محكم؛ إذ أشـار إلى أن المبرّد نقل(لَمَمتُ به)بغير ألف بمعنى الإتيان والزيارة، وهي لغة بني تميم، وللغات القبلية العربية حجيّتها المعتبرة عند أئمة الصـنعة.(**عبد التواب، ١٩٦٧، ١٨٣-١٨٤**)

وفي هذا الموقف نلمح ملمحاً مهماً من ملامح منهج اللَّبْلِيّ؛ فهو لا يُسلِّم للإجماع الصرفي المُتوهَّم إذا وجد في الشـواهد اللغوية ما يُخالفه، ولا يرفض قول العامّة إذا كان له أصـل في كلام العرب الفصـحاء، وهذا يكشـف عن رؤية تعدديةٍ في التعامل مع المادة اللغوية، قريبةٍ من موقف الخليل بن أحمد وسـيبويه اللذين أقرّا تعدد اللهجات وأثرها في الاسـتعمال الفصـيح، كما صـرّح سـيبويه بقوله:((وقد يجيء فعلت وأفعلت المعنى فيهما واحد، إلّا أنَّ اللغتين اختلفتا))(**ســـيبويه ١٩٨٨، ٤/٦١**).

ب - رابَ / أَرابَ(اختلاف في درجة اليقين المعرفي):

يُعدّ هذا المثال من أدقّ ما ذكره اللَّبْلِيّ في هذا الباب وأكثره ثراءً دلالياً .فعند شرح قول الفصيح(ما رابَك من فلان) قال اللَّبْلِيّ)):في أي شيء شككتَ من أمره؟ والمعنى :ماذا أنكرتَ من فعله؟ ويقال : رابني أمره وأَرابني؛ أي شككتُ فيه .وحكى اللغتين يونس في نوادره واللحياني أيضاً في نوادره وصاحب الواعي .وقال :ورابني أفصح .وقد فرّق بينهما بعض اللغويين فقالوا:(رابني) إذا علمتَ منه الريبة، و)أرابني) إذا ظننتَ ذلك به)).(**اللَّبْلِيّ، ١٩٩٤، ٣٣٣/٢**)

وقد ذكر اللَّبْلِيّ أن ابن هشام اللخمي في شرحه لفصيح ثعلب نقل عن قوم هذا التفريق الدقيق؛ فـ)رابَ) تُستعمل حين يكون الشكّ مستنداً إلى علم حاصل أو دليل مُشاهَد، بينما(أَرابَ) تُوظَّف حين يكون الأمر في طور الظن وما يُشبه الحَدْس .واستشهد اللَّبْلِيّ ببيت خالد بن زهير يخاطب أبا ذؤيب من شعراء هذيل:

يا قَومِ ما بالُ أبي ذُؤَيبِ كُنتُ إذا أتوتُهُ من غَيبِ
يَشَمُّ عِطفِي ويَمَسُّ ثَوبِي كأنَّنِي قد رِبتُهُ بِرَيبِ(**ديوان الهذليين، ١٩٦٥، ١٦٥/١**)

وما يلفت النظر في هذا المثال أن الفرق بين(رابَ وأَرابَ) ليس فرقاً في المعنى الأصلي، بل هو فرق في مستوى اليقين المعرفي؛ فكلاهما يدور في فلك الريبة والشك، لكنهما يتفاوتان في درجة اليقين بتلك الريبة .وهذا ما يُسميه المحدثون في فلسفة اللغة بـ)الدرجة الإبستيمية) أو مستوى الوثوق المعرفي، وهو ما يُثبت أن التراث اللغوي العربي لم يغفل عن هذا الجانب الدقيق من الدلالة.

المبحث الثالث

خصائص منهج اللَّبْلِيّ في تناول الظاهرة

من اســتقراء الأمثلة الســابقة وغيرها في التحفة، يمكن تحديد ســمات منهج اللَّبْلِيّ في تناوله لظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ):

السمة الأولى - الطابع التوثيقي :لا يُصادر اللَّبْلِيّ الآراء ولا يتبنّى موقفاً مذهبياً صارماً؛ فهو يُورد ما قاله اللغويون ويُثبّته، ثم يُضيف ما وقف عليه من شواهد وروايات .وهذا يجعله أقرب إلى أهل التوثيق منه الى أهل منه إلى أهل الترجيح.

السمة الثانية - الإثراء بالشواهد المتنوعة :يتميز اللَّبْلِيّ عن غيره من الشُّرّاح بإكثاره من الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والنثرية، والأبيات الشعرية أكثر بالطبع، وهذا التنويع في الاستشهاد يُساهم في رؤيةٍ أشمل لاستعمال الصيغتين في أنواع التعبير العربي المختلف.

السمة الثالثة - القبول باللهجات حجةً لغوية :يُقرّ اللَّبْلِيّ بأثر اللهجات القبلية في توجيه الاستعمال اللغوي، ومن أوضح ذلك موقفه في مسألة(لَمَتُ) حين دافع عن لغة بني تميم في مواجهة تضييق ابن درستويه.

السمة الرابعة - النقد الخاص : رغم طابعه التوثيقي بشكل عام، لكنّه يبرز في بعض المواضع بمواقف نقدية مستقلة، يردّ فيها على بعض آراء النحويين واللغويين ومنهم ثعلب، وهو بهذا ليس ناقلًا فقط، مدقق ومصحح ومرجح.

السمة الخامسة - لم يُقسِّم اللَّبْلِيّ شرحه تقسيماً صريحاً إلى(صيغ متفقة المعنى) و)صيغ مختلفة المعنى)، خلافاً لما فعله ثعلب في فصيحه؛ بل أدرج هذه المسألة ضمن الشرح التفصيلي لكل مفردة، وهذا ما يجعل استقراء هذه الظاهرة من التحفة أمراً يتطلب جهداً استقرائياً أكبر.

الخاتمة

انتهت هذه الدراسـة من اسـتقراء ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ) في تحفة المجد الصـريح للبلي، وإخضـاعها للتحليل والمقارنة، وقد أسفر ذلك عن جملة من النتائج:

النتيجة الأولى :ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ) من المسـائل الصـرفية الدلالية التي اختُلف فيها في التراث اللغوي العربي، وقد وقف اللَّبْلِيّ منها موقف التوثيق والإثراء بالشواهد غالبًا، لا موقف الترجيح ؛ فلم يتبيّن انحيازه إلى فريق دون آخر، وكانت أمثلةُ اتفاق المعنى في شـرحه أكثر عدداً من أمثلة اختلافه.

النتيجة الثانية : وقع الاتفاق الدلالي بين الصـيغتين على صـنفين :اتفاق تامّ يتطابق فيه المعنيان من كل وجه، كـ(حَكَّ وأَحَكَّ) و(دَنِفَ وأَدنَفَ)؛ واتفاق جزئي يشترك فيه أحد معاني الفعل المجرد مع المعنى الوحيد للفعل المزيد، كـ(قَسَطَ وأَقسَطَ) .والصنف الأخير هو الأكثر شيوعاً في شرح اللَّبْلِيّ.

النتيجة الثالثة :وقع الاختلاف الدلالي على درجتين :اختلاف في المعنى الأصـلي كـ(لَمَّ وأَلَمَّ)؛ واختلاف في درجة اليقين المعرفي كـ(رابَ وأَرابَ) .وهذه الدرجة الأخيرة من أدقّ الفروق الدلالية في الموروث اللغوي، وهي ما قد يُعبَّر عنه في الدراسـات اللسـانية الحديثة بالوظيفة الابسـتيمية للبنية الصرفية.

النتيجة الرابعة :يتميز اللَّبْلِيّ عن أقرانه من شُـرّاح الفصـيح بإثرائه لأمثلة هذه الظاهرة وتوسـيع الشواهد الداعمة لها، وهو ما أقرّه الباحثون الذين تناولوا الشروح الثلاثة مجتمعةً.

النتيجة الخامسـة :أثبت اللَّبْلِيّ قيمة اللهجات العربية بوصـفها حججاً لغوية معتبرة لا ينبغي إهمالها في الحكم على الاستعمال، وهو موقف يُوافق رأي الخليل بن أحمد وسيبويه.

النتيجة السـادسـة :ظهر للُّبلي موقف نقدي مسـتقل في بعض المسـائل، من أبرزها ردّه على ابن درسـتويه في مسـألة(لَمَتُ)، مسـتنداً إلى رواية المبرّد ولغة بني تميم(**المبرد، ١٩٨٦، ٣/٢٥٣**) مما يُثبت أنه لم يكن مجرد ناقل، بل كان عالماً له آراؤه وأدواته النقدية.

التوصيات

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يُوصى بما يأتي:

أولاً :دراسـة ظاهرة(فَعَلَ وأَفعَلَ)في شـرحَي الهروي والزمخشـري بمنهج مقارن مشـابه، للوصـول إلى رؤية شاملة لموقف شُرّاح الفصيح الثلاثة من هذه الظاهرة مجتمعين.

ثانياً :تتبع هذه الظاهرة في النص القرآني الكريم والحديث النبوي الشريف؛ لأن الشواهد الدينية كانت حاضرة بقوة في توثيق اللغويين القدماء ومن بينهم اللَّبْلِيّ.

المصادر:

١. ابن الأنباري، أبو بكر.(١٩٨٧م) .الأضـــداد .تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.
٢. ابن الأنباري، أبو محمد قاســم.(١٩٦٠م) .*الأضـــداد* .تحقيق محمد أبو الفضـــل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية.
٣. ابن القطاع السقلي.(١٩٨٣م) .الأفعال .بيروت: عالم الكتب.
٤. ابن خالويه.(١٩٩٤م) .شرح الفصيح .تحقيق عبد العزيز المطر. القاهرة: معهد المخطوطات العربية.
٥. ابن خـالويـه، الحســين بن أحمـد.(د.ت). ليس في كلام العرب.(تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار). مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
٦. ابن درسـتويه.(١٩٩٨م) .*تصـحيح الفصـيح وشـرحه* .تحقيق محمد بدوي المختون. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٧. ابن درسـتويه، عبد الله بن جعفر.(١٩٩٨). تصـحيح الفصـيح وشـرحه.(تحقيق: محمد بدوي المختون). القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٨. ابن دريد، أبو بكر.(١٩٨٧م) .جمهرة اللغة .تحقيق رمزي منير بعلبكي. بيروت: دار العلم للملايين.
٩. ابن سيده، أبو الحسن.(١٩٩٦م) .*المخصص* .تحقيق خليل إبراهيم جفال. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٠. ابن منظور، جمال الدين.(١٩٩٤م) .لسان العرب .بيروت: دار صادر.
١١. الترمذي، محمد بن عيسى.(١٩٩٨م) .سنن الترمذي .تحقيق بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٢. ثعلب، أبو العباس.(١٩٧٥م) .الفصيح .تحقيق فخر الدين قباوة. بيروت: مكتبة المعارف.
١٣. جرير.(١٩٦٩م) .ديوان جرير .تحقيق نعمان محمد أمين طه. القاهرة: دار المعارف.
١٤. الجواليقي، أبو منصـور.(١٩٦٩م) .*ما جاء على فَعَلتُ وأَفعَلتُ بمعنى واحد* .تحقيق محمد عبد القادر أحمد. القاهرة: مطبعة دار الكتب.
١٥. الجوهري، إسـماعيل بن حماد.(١٩٨٧م) .الصـحاح: تاج اللغة وصـحاح العربية .تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين.
١٦. حسان، تمام.(١٩٩٤م) .*اللغة العربية معناها ومبناها* .الدار البيضاء: دار الثقافة.
١٧. السامرائي، فاضل صالح.(٢٠٠٧م) .*معاني الأبنية في العربية* .عمّان: دار عمار.
١٨. السـجسـتاني، أبو حاتم سـهل بن محمد.(١٩٧٩). فعلت وأفعلت.(تحقيق: خليل إبراهيم العطية). البصرة: جامعة البصرة.

١٩. السكري، أبو سعيد.(١٩٦٥م) .*ديوان الهذليين* .القاهرة: دار الكتب المصرية.
٢٠. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر.(١٩٨٨). الكتاب(ج١-ج٥).(تحقيق: عبد السلام محمد هارون). القاهرة: مكتبة الخانجي.(الطبعة الثالثة).
٢١. السيوطي، جلال الدين.(١٩٩٨). المزهر في علوم اللغة وأنواعها(ج١-ج٢).(تحقيق: فؤاد علي منصور). بيروت: دار الكتب العلمية./
٢٢. عبد التواب، رمضـان.(١٩٦٧م) .لهجة تميم وأثرها في العربية الفصـحى .القاهرة: مكتبة الخانجي.
٢٣. العجاج.(١٩٧١م) .ديوان العجاج .رواية وشـرح الأصـمعي، تحقيق عزة حسـن. بيروت: دار الشرق العربي.
٢٤. العسكري، أبو هلال.(د.ت) .الفروق اللغوية .تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة: دار العلم والثقافة.
٢٥. الفِهري اللَبلي، أبو جعفر أحمد بن يوسـف.(د.ت) .*تُحفة المجد الصـريح فـي شـرح كتاب الفصيح(السفر الأول)* .دراسة وتحقيق عبد الملك بن عيضة بن رداد الثبيتي.
٢٦. اللَبلي، أبو جعفر أحمد بن يوسـف.(١٩٩٤م) .تحفة المجد الصـريح في شـرح كتاب الفصيح .تحقيق التهامي الراجي الهاشمي. الرباط: المطبعة الملكية.
٢٧. المبارك، محمد.(١٩٨١م) .*فقه اللغة وخصائص العربية* .بيروت: دار الفكر.
٢٨. المبرّد، أبو العباس.(١٩٨٦م) .*الكامل في اللغة والأدب* .تحقيق محمد أحمد الدالي. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٩. مسـلم بن الحجاج النيسـابوري.(د.ت) .صـحيح مسـلم .تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٠. ناصف، علي النجدي.(١٩٨٥م) .*تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب* .الكويت.
٣١. النعيمي، أسـامة محمد.(٢٠٠٣م) .*الدراسـات الصـرفية في شـروح الفصـيح للهروي والزمخشري* واللَبلي .أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب.

References

1. Ibn al-Anbari, Abu Bakr.(1987). *Al-Aḍdād(Opposites)*. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Beirut: Al-Maktaba al-Asriyya.
2. Ibn al-Anbari, Abu Muhammad Qasim.(1960). *Al-Aḍdād(Opposites)*. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Beirut: Al-Maktaba al-Asriyya.
3. Ibn al-Qattaʿ al-Siqilli.(1983). *Al-Afʿāl(Verbs)*. Beirut: Alam al-Kutub.
4. Ibn Khalawayh.(1994). *Sharḥ al-Faṣīḥ*. Edited by Abd al-Aziz al-Matar. Cairo: Institute of Arabic Manuscripts.
5. Ibn Khalawayh, al-Husayn ibn Ahmad.(n.d.). *Laysa fī Kalām al-ʿArab*. Edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar. Mecca: Umm al-Qura University.
6. Ibn Durustawayh.(1998). *Taṣḥīḥ al-Faṣīḥ wa Sharḥuh*. Edited by Muhammad Badawi al-Makhtun. Cairo: Supreme Council for Islamic Affairs.
7. Ibn Durustawayh, Abd Allah ibn Jaʿfar.(1998). *Taṣḥīḥ al-Faṣīḥ wa Sharḥuh*. Edited by Muhammad Badawi al-Makhtun. Cairo: Supreme Council for Islamic Affairs.
8. Ibn Duraid, Abu Bakr.(1987). *Jamharat al-Lughah*. Edited by Ramzi Munir Baalbaki. Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin.
9. Ibn Sidah, Abu al-Hasan.(1996). *Al-Mukhaṣṣaṣ*. Edited by Khalil Ibrahim Jaffal. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
10. Ibn Manzur, Jamal al-Din.(1994). *Lisān al-ʿArab*. Beirut: Dar Sadir.
11. Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa.(1998). *Sunan al-Tirmidhi*. Edited by Bashar Awwad Maʿruf. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
12. Thaʿlab, Abu al-Abbas.(1975). *Al-Faṣīḥ*. Edited by Fakhr al-Din Qabawah. Beirut: Maktabat al-Maʿarif.
13. Jarir.(1969). *Diwan Jarir*. Edited by Nuʿman Muhammad Amin Taha. Cairo: Dar al-Maʿarif.
14. Al-Jawaliqi, Abu Mansur.(1969). *Mā Jāʾa ʿalā Faʿaltu wa Afʿaltu bi-Maʿnā Wāḥid*. Edited by Muhammad Abd al-Qadir Ahmad. Cairo: Dar al-Kutub Press.
15. Al-Jawhari, Ismaʿil ibn Hammad.(1987). *Al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-ʿArabiyyah*. Edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar. Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin.
16. Hassan, Tammam.(1994). *The Arabic Language: Its Meaning and Structure*. Casablanca: Dar al-Thaqafa.
17. Al-Samarrai, Fadil Salih.(2007). *Meanings of Morphological Patterns in Arabic*. Amman: Dar Ammar.

18. Al-Sijistani, Abu Hatim Sahl ibn Muhammad.(1979). *Faʿaltu wa Afʿaltu*. Edited by Khalil Ibrahim al-ʿAtiyya. Basra: University of Basra.
19. Al-Sukkari, Abu Saʿid.(1965). *Diwan al-Hudhaliyyin*. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyya.
20. Sibawayh, Amr ibn Uthman ibn Qanbar.(1988). *Al-Kitāb*(Vols. 1–5). Edited by Abd al-Salam Muhammad Harun(3rd ed.). Cairo: Maktabat al-Khanji.
21. Al-Suyuti, Jalal al-Din.(1998). *Al-Muzhir fī ʿUlūm al-Lughah wa Anwāʿihā*(Vols. 1–2). Edited by Fuad Ali Mansur. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya.
22. Abd al-Tawwab, Ramadan.(1967). *The Dialect of Tamim and Its Influence on Classical Arabic*. Cairo: Maktabat al-Khanji.
23. Al-Ajjaj.(1971). *Diwan al-Ajjaj*. Narrated and explained by Al-Asmaʿi; edited by Izzah Hasan. Beirut: Dar al-Sharq al-Arabi.
24. Al-Askari, Abu Hilal.(n.d.). *Al-Furūq al-Lughawiyyah*. Edited by Muhammad Ibrahim Salim. Cairo: Dar al-Ilm wa al-Thaqafa.
25. Al-Fihri al-Labli, Abu Jaʿfar Ahmad ibn Yusuf.(n.d.). *Tuhfat al-Majd al-Ṣarīḥ fī Sharḥ Kitāb al-Faṣīḥ*(First Volume). Study and edition by Abd al-Malik ibn Ayidah ibn Raddad al-Thubaiti.
26. Al-Labli, Abu Jaʿfar Ahmad ibn Yusuf.(1994). *Tuhfat al-Majd al-Ṣarīḥ fī Sharḥ Kitāb al-Faṣīḥ*. Edited by Al-Tahhami al-Raji al-Hashimi. Rabat: Royal Press.
27. Al-Mubarak, Muhammad.(1981). *Philology and the Characteristics of Arabic*. Beirut: Dar al-Fikr.
28. Al-Mubarrad, Abu al-Abbas.(1986). *Al-Kāmil fī al-Lughah wa al-Adab*. Edited by Muhammad Ahmad al-Dali. Beirut: Mu'assasat al-Risalah.
29. Muslim ibn al-Hajjaj al-Naysaburi.(n.d.). *Ṣaḥīḥ Muslim*. Edited by Muhammad Fuad Abd al-Baqi. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
30. Nasif, Ali al-Najdi.(1985). *History of Arabic Grammar in the East and the West*. Kuwait.
31. Al-Nuʿaymi, Usama Muhammad.(2003). *Morphological Studies in the Commentaries on Al-Faṣīḥ by Al-Harawi, Al-Zamakhshari, and Al-Labli*. Unpublished PhD Dissertation, University of Baghdad, College of Arts.